

منتدى الفكر العربي ومركز "مجتمع" للدراسات الثقافية والتاريخية.

مؤتمر

نقد السرديات في التأليف التاريخي العربي.

الموعد 15 – 17/12/2024

عمان - المملكة الأردنية الهاشمية.

عنوان البحث:

خبرة نقد السرديات التوراتية في الفكر الحديث:

الرواد العرب الأوائل لنظرية جغرافية التوراة في جزيرة العرب، الباحث فاضل
الربيعي أنموذجاً.

د. عدنان ملحم

جامعة النجاح الوطنية

نابلس – فلسطين

2024

أبرز رواد المدرسة العربية للنظرية التي ترى بأن موطن جغرافية التوراة هو شبه جزيرة العرب هم: كمال الصليبي (التوراة جاءت من جزيرة العرب) 1985 والذي يعتبر واضع لبنتها الأساس، وتبناها وبلور مكوناتها وتفصيلها لاحقاً كل من: أحمد داود (العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود) 1991، وفرج الله صالح ذيب (التوراة العربية وأورشليم اليمينية) 1994، وزيد منى (جغرافية التوراة: مصر وبنو إسرائيل في عسير) 1994، وأحمد عيد (جغرافية التوراة في جزيرة الفراعنة) 1996، وفضل الجثام (الحضور اليماني في تاريخ الشرق الأدنى القديم) 1999، وأحمد دبش (موسى وفرعون في جزيرة العرب) 2004، وأخيراً فاضل الربيعي (فلسطين المتخيلة: أرض التوراة في اليمن القديم) 2008 (1).

ويتفق الباحثون والمفكرون السالف ذكرهم على وجوب دراسة جغرافية وتاريخية التوراة والميثولوجيا المقترنة بها في كل الأرض العربية وخاصة شبه الجزيرة العربية وتوضيح أسباب التطابق الكبير بين مكوناتها ومفصلاتها ومسرح الحدث ذاته، والكشف عن سردية المخيال الاستشراقي الأوروبي في قراءة نصوصها، وأليات تزويره خدمة لحركة الاستعمار والاستحواذ السياسي والفكري والثقافي التي ظهرت في القرن التاسع عشر (2)، وإثبات عدم وجود علاقة لبني إسرائيل بفلسطين، وإسقاط شعار العودة إلى أرض النشأة والوعد والميعاد، ودحض أسس المشروع الصهيوني العقائدي الاستيطاني الإحلالي بها (3).

واعتمدوا جميعاً في دراسة النص التوراتي على رصد التحولات والتقلبات اللغوية واللفظية في حروف وأسماء الأشخاص والأمكنة والقبائل والأمم والأحداث وتفصيل الحياة السياسية والاجتماعية

-
- (1) كمال الصليبي، التوراة جاءت من جزيرة العرب، ترجمة عفيف الرزاز، مؤسسة الأبحاث العربية (بيروت - لبنان)، ط3، 1985.
- أحمد داود، العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود، دار المستقبل (دمشق - سوريا) ط1، 1991.
- فرج الله صالح ذيب، التوراة العربية، وأورشليم اليمينية، نوفل للطباعة والنشر (بيروت - لبنان) ط1، 1994.
- زيد منى، جغرافية التوراة: مصر وبنو إسرائيل في عسير، رياض الريس للكتب والنشر (لندن - بريطانيا) ط1، 1994.
- أحمد عيد، جغرافية التوراة في جزيرة العرب، مركز المحروسة للبحوث والتدريب والنشر (القاهرة - مصر) ط1، 1996.
- فضل الجثام، الحضور اليماني في تاريخ الشرق الأدنى، منشورات علاء الدين (دمشق - سوريا) ط1، 1999.
- أحمد دبش، موسى وفرعون في جزيرة العرب، دار خطوات (دمشق - سوريا) ط2، 2004.
- فاضل الربيعي، فلسطين المتخيلة: أرض التوراة في اليمن القديم (مجلدان) دار الرافدين (بغداد - العراق) ط1، 2021.

(2) فاضل الربيعي، مصدر سبق ذكره، ج1، ص 20، 176، 419، وج2، ص 237، 544.

(3) كمال الصليبي، مصدر سبق ذكره، ص 13. أحمد داوود، مصدر سبق ذكره، ص 14.

والدينية، وربط ذلك بالمتغيرات التي جرت على الأرض نظراً للحروب والهجرات والتحالفات والظواهر الطبيعية المختلفة(4)، لذلك جاءت محتويات دراساتهم متشابهة في المضامين والنتائج، مع اختلافات ملموسة في العمق والشمول والمنهجية.

اتهم الرواد العرب لنظرية جغرافية التوراة في شبه جزيرة العرب بأنهم لم يتقنوا دراسة التحولات الكبيرة في بنى وحركات وهجرات وتحالفات القبائل في العهود القديمة (5).

كما انتقدوا لعدم اهتمامهم واعتمادهم على علم الآثار ودراساته في مناطق فلسطين وشبه الجزيرة العربية، وخاصة تلك الأبحاث الجادة التي أكدت عدم وجود علاقة بين مفاعيل بني إسرائيل السكانية والسياسية والاجتماعية والدينية وفلسطين (6).

واتهموا بأنهم لم يستطيعوا بشكل متقن الربط بين عمليات التحريف والتزوير التي جرت على مكونات النص التوراتي في مختلف مراحل كتابته، وبين الخطوات والآليات التي قامت بها المؤسسات الاستعمارية الغربية والمدارس الاستشراقية المرتبطة بها في عمليات التزوير دعماً لمشروع الحركة الصهيونية للسيطرة على فلسطين وإخراج أرضها وشعبها من الجغرافيا والتاريخ (7).

وانتقدوا لإخفاءهم دور وتأثير المستشرقين والمؤرخين الغربيين على أفكارهم ومناهجهم التي استندوا إليها في كتاباتهم ونظريتهم (مثل: يوليوس فلهاوزن 1844 – 1918، ودافيد مرجليوث 1858 – 1940) (8).

واتهموا بأنهم يساهمون بشكل مباشر في إيجاد مبررات يمكن أن تعتمد عليها الحركة الصهيونية للسيطرة على مناطق عربية جديدة، وقد دافعوا عن ذلك بالقول إن "يهود اليوم لا يشكلون امتداداً لبني إسرائيل ولا يحق لهم المطالبة بأي حق توراتي سواء في أرجاء شبه الجزيرة العربية أو في فلسطين" (9).

(4) كمال الصليبي، مصدر سبق ذكره، ص (13، 14). فاضل الربيعي، مصدر سبق ذكره، ص 18، 25.

(5) صافي التميمي، هجرة القبال العربية من جنوب الجزيرة العربية (اليمن) وأماكن استيطانها، مجلة آداب المستنصرية (بغداد – العراق)، العدد 16، سنة 2016، ص 175، 190، 191.

(6) كمال الصليبي، مصدر سبق ذكره، ص 14. زياد مني، مصدر سبق ذكره، ص 16.

(7) علاء اللامي، نقد الجغرافية التوراتية والعسيرية واليمينية، مجلة الآداب (بيروت – لبنان) العدد 7، آيار – تموز، 2021، ص 17. صقر أبو فخر، التوراة العربية وأورشليم اليمينية، مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد 7، العدد 27 صيف 1996، ص 235.

(8) فكري آل هير، جغرافية التوراة وحاخاماتها العرب (ب. ن)، (صنعاء – اليمن) 2018، ص 26.

(9) كمال الصليبي، مصدر سبق ذكره، ص 13. فاضل الربيعي، مصدر سبق ذكره، ج1، ص 87.

وانتقدوا بأنهم صنعوا حالات تشويش خطيرة ومروعة على الوعي التاريخي والجغرافي العربي لجيل بأكمله، مهدين بشكل متفاوت جذران الروايات الدينية والتاريخية والتراثية والجغرافية المستقرة في عقول الأمة العربية والإسلامية على حد سواء (10) ولم يعالجوا ويناقشوا التفاسير والتفاصيل والتقاطعات النصية الدينية التي تتفق أو تتعارض مع نظريتهم، الأمر الذي يتطلب منهم عمقاً أكبر في دراسة أطروحاتهم (11).

وما زال وجود أعداد كبيرة من الأسماء المشتركة بين مكونات الجغرافيا في شبه الجزيرة العربية وخاصة اليمنية ومثيلاتها التوراتية، يمثل تحدياً كبيراً، يستدعي تحالفاً وثيقاً بين علماء اللغة والنصوص والعقائد والتفاسير الدينية والتاريخ والجغرافيا، وعلم الاجتماع والأدب من أجل الوصول إلى الحقائق المجردة (12).

ولا زالت الدراسات حول جهود وآراء الباحثين والمفكرين العرب من أنصار نظرية موطن جغرافية التوراة هو شبه جزيرة العرب دون العمق المطلوب، وتخضع لمؤثرات ومفاعيل وأسباب بحاجه لدقة وجدية أكثر (13)، وعلى الرغم من ذلك يتوجب الاعتراف بأنهم أحدثوا اختراقاً هاماً في الساحة البحثية العربية، وشرّعوا الأبواب لإعادة قراءة مصادر الفكر الديني والتاريخي والجغرافي والتراثي مجدداً، ودراسة الأسس والقواعد التي تستند عليها الحركة الصهيونية في حروب نصوصها المقدسة للاستيلاء على الوطن الفلسطيني والوعي الفكري والإنساني العام (14).

اخترت عرض ودراسة أطروحات نموذج هام يعبر عن نتائج مدرسة الرواد العرب لنظرية جغرافية التوراة جاءت من شبه جزيرة العرب، وهو الباحث العراقي فاضل الربيعي وذلك بسبب غزارة إنتاجه البحثي وتنوعه في هذا المجال أولاً، وتوسعه في خلق مساحات وآليات ومناهج وطرق واسعة للمقاربات والمقارنات اللغوية والتاريخية والجغرافية للنصوص التي تناولت القضية ثانياً، وجرأته الملفتة للنظر في عرض وتقديم أطروحاته على الملأ ثالثاً ونظراً لما تركته كتاباته من جدل ونقد كبير في الأوساط العربية والعبرية والعالمية رابعاً.

(10) كمال الصليبي، مصدر سبق ذكره، ص 19. صقر أبو فخر، الهرطوقي الحكيم (حوار مع كمال الصليبي)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت - لبنان) ط1، 2012، ص7.

(11) فراس السواح، القصص القرآني ومتوازياته التوراتية، دار ومؤسسة رسلان (دمشق - سوريا)، ط1، 2017، ص8.

(12) فاضل الربيعي، مصدر سبق ذكره، ج1، ص 419.

(13) كمال الصليبي، مصدر سبق ذكره، ص 8، 9.

(14) صقر أبو فخر، التوراة العربية وأورشليم اليمنية، مصدر سبق ذكره، ص 240.

واخترت دراسته الضخمة والموسومة بـ "فلسطين المتخيلة: أرض التوراة في اليمن القديم" ملاذاً للعرض والنقد، بسبب ضمها لمعظم أطروحاته البحثية والفكرية في الموضوع محور البحث.

-2-

أعلن الربيعي عبر مصنفاته وإسهاماته الثقافية والإعلامية العديدة أن أهداف مسيرته البحثية هي: قراءة وتحليل جذور السرديات اللاهوتية التوراتية التي ترى بأن فلسطين التاريخية أرض الميعاد الربانية وموضع ولادتهم ونشأتهم منذ فجر التاريخ حتى اليوم⁽¹⁵⁾، والعمل على تفكيك مفاصل النص التوراتي وإعادة تجميعه إلى موطنه الأصلي الذي نشأ فيه: مناطق وحضارات الشرق الأدنى القديم⁽¹⁶⁾، ودراسة الجغرافية التي عاش في كنفها بنو إسرائيل والمفاعيل والكيانات السياسية والاجتماعية والثقافية والفكرية التي لعبت دوراً في بلورة أحوالهم بشكل متواصل⁽¹⁷⁾.

واعتقد الربيعي أن أهم واجباته هي الكشف عن تفاصيل المؤامرة الاستعمارية الغربية التي ظهرت بشكل واضح خلال أحداث القرن التاسع عشر الميلادي ونشط أركانها: أصحاب القرار السياسي داخل الإمبراطورية البريطانية العظمى وعلماء المدارس التاريخية والأثرية ورواد الصناديق والمؤسسات الاستكشافية والكنيسة الأوروبية من أجل تزوير كل ما له علاقة بفلسطين وتهويده بهدف تبرير الاستيلاء عليها وإخراجها من التاريخ والجغرافية ووضعها في إطار خيالي لا علاقة لها به⁽¹⁸⁾، وترسيخ عدالة قضية اليهود من أجل استرجاع إرثهم الديني والوطني في أرض الميعاد وتصوير أعدائهم مجرد جماعات عرقية غريبة مشنتة متفرقة، لا حقوق لها ولا سند تاريخي وقانوني بحوزتها⁽¹⁹⁾.

وأمن الربيعي أن على المفكرين العرب قاطبة إبراز تأثير القراءة "الكولونيالية" الغربية على الأوساط العربية والإسلامية بقطبيها الثقافي والسياسي، وتوضيح خطورة ذلك على رمى الصفوف وعمليات الدفاع عن عروبة فلسطين⁽²⁰⁾.

وأعلن الربيعي صراحة أن من الأهمية قبل أي وقت مضى إعادة قراءة النص التوراتي من جديد، والإثبات بأن فلسطين هي ضحية قراءة استشراقية استعمارية غربية وهوس إحلالي حديث

(15) الربيعي، مصدر سبق ذكره جـ1، ص 26، 370، 371، 372، وجـ2، ص 239.

(16) المصدر نفسه، جـ1، ص 26، 27، 87، 175، وجـ2، ص 421، 423، 424، 427، 554.

(17) المصدر نفسه، جـ1، ص 25، 26، 28، 103، 174، وجـ2، ص 237، 238، 419.

(18) المصدر نفسه، جـ1، ص 16، 19، 20، 23، 24، 26، 27، 83، 87، 174، 196، 309، 310.

(19) المصدر نفسه، جـ1، ص 26، 27، 223، 309، 315، 357، 368، وجـ2، ص 75.

(20) المصدر نفسه، جـ1، ص 25، 26.

ومعاصر، (21) لذا لا بد من استردادها من أسر الخاطفين المستعمرين وتحرير صورتها من هيمنة السرد الغربي العنصري والمتعال في نظرتة للآخر (22).

-3-

اعتمد الربيعي -استناداً إلى اعترفاته التي ضمنها مصنفاته- على سلسلة مترابطة من الخطوات المنهجية لإثبات أن جغرافيا التوراة هي مرآة الفضاء اليمني وليس الفلسطيني، وسأستعرض بشكل دقيق الخطوات التي قام بها من أجل تحقيق هدفه:

أولاً: حصر جميع مكونات الجغرافية التوراتية، وقارنها بمثيلاتها في كتاب الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني (ت 947م) الموسوم بـ "الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير" الذي يعتبره الباحثون موسوعة متكاملة في الحضارة اليمنية لفترة ما قبل الإسلام في مجالات الآثار والأخبار والأنساب واللغة (23) وقصائد عشرات من الشعراء العرب القدامى -كما وصفهم- أمثال: الشَّنْفَرَى ثابت بن أواس الأزدي (525م)، وأمرؤ القيس خندج بن حُجر بن الحارث الكندي (ت 544م) والنَّابِغَةُ الذُّبْيَانِي، أبو إمامة زياد بن مُعاوية الذُّبْيَانِي (604م) وعَنْتَرَةُ بنُ شَدَّادِ العَبْسِي (608م) وغيرهم الكثير الكثير (24) ورصد الأسماء والأماكن المشتركة والمتشابهة لغة ولفظاً دون أدنى تلاعب أو تدخل (25).

ثانياً: درس لهجات القبائل اليمنية المختلفة وظاهرة التحولات اللغوية وقلب الأسماء والحروف بينها، بهدف معرفة التغيرات التي حصلت على جسد الجغرافية اليمنية (26).

ثالثاً: ساح في أرجاء الجغرافية اليمنية لدراسة مواقعها وطرقها وتتابعها وصلاتها ببعضها البعض مستحضراً مسارات التاريخ في أرجائها المختلفة بهدف التأكد من سلامة محطات الزمان وأركان المكان بكل أشكاله (27).

رابعاً: أتقن اللغة العبرية وتحولاتها في الحالة التوراتية النصية وصلاتها باللغات السامية المختلفة وترجماتها من اللغات اليونانية، من أجل التأكد من سلامة لفظ وكتابة ومكونات الجغرافية

(21) الربيعي، مصدر سبق ذكره، ج1، ص 20، 24، 26، 27، ج2، ص 554.

(22) المصدر نفسه، ج1، ص 20.

(23) المصدر نفسه، ج1، ص 16، 19، 40، 87، 137، 154، 174، 175، 227، 299، 419، وج2، ص 239.

(24) المصدر نفسه، ج2، ص 18، 19، 20، 24، 25، 28، 67، 77، 87، 176.

(25) المصدر نفسه، ج3، ص 20، 25، 76، 111، 153، 176، 419.

(26) المصدر نفسه، ج4، ص 19، 25، 145، 146، 148، 149، 196، 214، 253.

(27) المصدر نفسه، ج5، ص 69، 95، 174، 175، 215، 226، 306.

اليمنية، واهتم بشكل خاص بأسماء الأماكن التوراتية التي تحمل نصاً وجذراً يمينياً، وتلك التي لا وجود لها في أرض فلسطين لا من قريب أو بعيد (28).

خامساً: راجع الآراء والدراسات الأثرية التي عالجت مشاهد من الحضور الجغرافي اليمني وعرضها في تفاصيل دراساته واطلع على النقوش والسجلات الآشورية والمصرية (29).

-4-

تستند نظرية الربيعي إلى قاعدة أساس وهي: أن مسرح الأحداث التوراتية لم تكن فلسطين بل اليمن، وأن موضع مملكة إسرائيل القديمة هو شرق صنعاء أو في نجران حيث عاش اليهود تجربتهم وقصصهم ومروياتهم القبلية (30)، وعكست التوراة طبيعة وجغرافية اليمن: المدن والقرى والجبال والطرق والوديان والهضاب والأمطار والفيضانات والأنهار وعيون الماء والسدود، والمصطلحات اللغوية واللهجات المحكية وهياكل الشعر والنثر والخطب والأمثال، وفعاليات التجارة: الأسواق والأوزان والصادرات والواردات والمعايير الضامنة لحركتها، وتفاصيل النشاطات الزراعية: المزروعات والمحاصيل وأوقات الزراعة والحصاد أو القطاف والأدوات المستخدمة فيها. وحفظت التوراة أسماء القبائل والممالك والدول والأسباط التي أقامت أو سكنت اليمن، وزعمائها وقادتها ورموزها السياسية والمجتمعية والعسكرية، ووصفت فعاليات الحروب والسلام والمعاهدات التي شهدتها البلاد، وتناولت بشيء من التفصيل المعتقدات والطقوس والتماثيل والبنى الدينية المختلفة (31).

وأكد الربيعي أن التطابق الكبير بين جغرافية ومجتمع اليمن مع النص التوراتي ليس صدفة أو تشابهاً لغوياً صرفاً، وأن كلاهما يعبر عن منطقة واحدة هي جنوب شبه الجزيرة العربية حيث ولدت اليهودية كدين عربي قديم، وليس في فلسطين التي لم تعرف اليهودية أو القبائل اليمنية المهاجرة صوبها إلا في وقت متأخر لا يتعدى 200 ق.م (32).

وأشار الربيعي إلى أن أجزاء من أوجه التشابه في الأسماء بين فضاءات اليمن والتوراة جاء في عصور متباينة بسبب هجرة القبائل اليمنية إلى الشام نظراً لموجات الجفاف والحروب والصراعات

(28) الربيعي، مصدر سبق ذكره، 6 ج1، ص 19، 20، 28، 33، 44، 45، 47، 48، 49، 53، 55، 58، 66، 67، 87، 99، 101، 115، 131، 147، 148، 149، 228. وج2 ص 365، 421، 422، 423، 427

(29) المصدر نفسه، 7 ج1، ص 91، 97، ج2 ص 13، 141.

(30) المصدر نفسه، ج1، ص 17، 19، 247، 251، 320، 323، 325، وج2، 78، 29، 237، 525.

(31) المصدر نفسه، ص 16، 17، 18، 19، 24، 28، 40، 41، 67، 76، 87، 111، 132، 135، 138، 145، 149، 168، 174، 175، 209، 226، 234، 244، 247، 419، وج2، ص 13، 33، 35، 69، 81، 141، 150، 239، 429، 525.

(32) المصدر نفسه، ج1، 76، 87، 153، 174، 176، 226، 251، 419، وج2، ص 237، 429، 525، 554.

الداخلية والخارجية، وتغير مسارات التجارة العالمية في المنطقة، وحملت الكيانات القبلية معها أسماء مناطقها ومواضعها مثل: بريحو، وجرش، والرّبة، وصور، وعكو، وكرمل، وبيت لحم، وجازر، وصهيون (33).

واتهم الربيعي المخيال الاستشراقي الأوروبي الغربي بأنه غذى نزعات المطابقة العشوائية بين مكونات الجغرافية التوراتية وبين مثيلاتها في مختلف الأماكن والمواقع واللغات في العالم القديم، من أجل خلق نماذج شبيهة في فلسطين التاريخية، ولجأ إلى مطابقات تعسفية وفرضيات خاطئة بهدف الإثبات بأنها موطن بني إسرائيل التاريخي، كما عمل على تغريب القراءة الأوروبية للتوراة، وفتش عن مواضع داخل فلسطين التاريخية لوسمها بها، مقطوعة السياق عما يجاورها، متجاهلة الطبيعة والقواعد الخاصة بإقامة واستقرار الجماعات القبلية القديمة (34).

وأورد الربيعي عشرات الأمثلة على وجود جغرافية يمينية في التوراة لا وجود لها في فلسطين التاريخية مثل: فضيض، رقم، صيلع، بيت بوس، هنوم، اللوز، جنب، عفارة، أراك، المصفاة، شباع، سُمع، فجّ المولدة، سريد، يافع، قطا، رمث، أبض، عمّ - عدّ، حلي وغيرها الكثير (35).

-5-

درس الربيعي مفاصل رئيسة من النص التوراتي في سعيه الدؤوب لتأكيد نظريته عن جغرافيته المرتبطة باليمن وتوضيح ملامح التزوير التي طالت تفاصيله، ورسم -ربما- بجرأة وثقة واضحة خريطة جديدة لتاريخ بني إسرائيل، وهي قراءة يمكن البناء عليها من أجل صياغة أخرى للمشهد التوراتي المطل على فلسطين التاريخية.

سأعرض أهم المفاصل التاريخية التوراتية التي ناقشها الربيعي في مصنفاته العديدة:

- بنو إسرائيل شعب عربي يمّني قديم بائد، جزء من شجرة الأنساب القبلية اليمنية، عاش في مناطق سروحيمير ونجران أو بلاد اليهود العتيقة، حيث أقاموا مملكتي بني إسرائيل (الشمال) وبني يهوده (الجنوب) (36).

(33) الربيعي، مصدر سبق ذكره، ج1، ص 34، 76، 109، 133، 139، 143، 157، 168، 180، 264.

(34) المصدر نفسه، ج1، ص 170، 234، 357، 377.

(35) المصدر نفسه، ج1، ص 44، 48، 52، 53، 65، 66، 74، 75، 79، 89، 91، 111، 112، 123، 145، 147، 166، 171، 174-234، 357، 377.

(36) المصدر نفسه، ج1، ص 40، 103، 200، 259، 256، 318، 320، 322، 325، وج2، ص 69، 78، 79، 80، 152، 239، 417، 525.

- الوعد الإلهي الذي قطعه الرب لإبراهيم وبني إسرائيل واليهود وإسرائيل الكيان لاحقاً، وبموجبه حصل شعب الله المختار على مساحة إمبراطورية عظمى تمتد من مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات، هو خرافة زائفة عززتها القراءة الاستشرافية الغربية للتوراة، والتي قدمت (طابو) أذلي لليهود لتملك الأرض المقدسة موضع الوعد. وهو يخاطب قبائل وجماعات يمنية موجودة في جغرافية اليمن وبعيدة عن بني إسرائيل أو كانت طرفاً في صراعات ضدهم، ولا تعرف أرض فلسطين التاريخية أياً منها (37).
- وموسى بن عمران ويشوع بن نون والأسباط: بنيامين وشمعون وزبولون ويسكر وأشير شخصيات يمنية عربية (38).
- والتوراة كتاب إخباري ديني من كتب الأخبار اليهود في اليمن، تتضمن بالإضافة إلى الجانب الفقهي التشريعي، مرويّات وأساطير سبقت مراحل تدوينها وهاجرت كما يهاجر البشر، وأصبحت جزءاً من عقائد وتفكير وثقافات شعوب أخرى، وعدت من المشتركات الإنسانية أو الكليات النفسية (39).
- خرج بنو إسرائيل بقيادة موسى من مناطق إقامتهم في سروحمير هرباً من الجوع والموت، سالكين طريق يام – سوف منطلقين إلى صحراء شور الجزء المتمم لصحراء النفوذ الصغرى والدهناء على تخوم الربع الخالي، في رحلة دامت ثلاثة أيام (40) مشكلة تفاصيل التيه التي روتها قبائل العرب البائدة مراراً وتكراراً في إطار ثقافة المواعظ الدينية والاجتماعية عن العذاب الإنساني والهجرات القسرية (41)، ويعتقد بأنها جزء من مرويّات وأساطير شعوب وحضارات مختلفة وصلت إلى التوراة المصدر الاخباري والديني الذي صنفه أخبار يهود اليمن (42).
- الأسطورة التوراتية عن عبور بني إسرائيل لنهر الأردن وهم يحملون تابوت العهد، والصعاب التي واجهتهم إثر فيضان مياه نهر (الأردم – ها - يرديم) الأمر الذي دفعهم للمضي إلى منطقة بعيدة تدعو (ء د م – أدوم) من أجل عبور المكان، غير جديرة
-
- (37) الربيعي، مصدر سبق ذكره، ج1، ص 370، 371، 373، 374، 375.
- (38) المصدر نفسه، ج1، ص 41، 84، 107، 129، 151، وج2، ص238، 239.
- (39) المصدر نفسه، ج1، ص28، 87، 103، 176، وج2، ص421، 422، 423، 429.
- (40) المصدر نفسه، ج2، ص 507، 508، 509، 510.
- (41) المصدر نفسه، ج2، ص 511.
- (42) المصدر نفسه، ج2، ص422، 423، 429.

بالصدق والثقة، فلا يوجد في الجغرافية الفلسطينية أسماء مناطق مما ذكر، علماً بأن هذه المناطق توجد في الجغرافية اليمنية فقط، ويبدو أن مهمة التزوير في هذه القصة هدفها التأكيد على أن غرب الأردن هو سكن ووطن أسباط اليهود، الذين حصلوا على حق ملكيته من موسى النبي (43).

– وفي المجال ذاته فإن تفاصيل بطولات ومعارك يشوع بن نون في مناطق (يرicho – أريحا) والعَي، واستيلائه عليهما وتدميره محتوياتهما ليست حقيقية أبداً، فهما ليست مواضع فلسطينية بل يمنية خالصة تقعان في وادي (عكر – عكور) حيث تقيم قبائل (هنوم – الأهنوم) وتتطابق أسماء مواقع حملة يشوع بن نون كما أوردتها التوراة مع الفضاء اليمني في المكان ذاته (44).

– حدثت الحروب الأشورية على اليمن وتحديداً في نجران والسرو الحميري، وكانت موجهة ضد القبائل العربية وبني إسرائيل بسبب تهديدها لمصالح الإمبراطورية الأشورية الاقتصادية والسياسية وبهدف إحكام سيطرتها على طرق التجارة البرية والبحرية في المنطقة، ولم تكن بوصلة هذه الحروب مناطق فلسطين التاريخية أبداً، وإن إقحامها على ساحة الصدام مع آشور يعود لخطط المدرسة الاستشراقية الغربية، إبراز دلائل على وجود استيطان يهودي موغل في القدم على أرض فلسطين أولاً وإثبات قدرة بني إسرائيل على بناء مملكة مترامية الأطراف ثانياً (45).

وتتمت عمليات تهجير اليهود في عهد حملات تجلات بلاسر الثالث (745 – 727 ق.م) وشلمناصر الخامس (726 – 722 ق.م) واسرحدون (680 – 669 ق.م) من مواضعهم في سرو حمير وكانت داخل اليمن القديم، في حين كان تهجيرهم أو سبيهم الأكبر في عهد نبوخذ نصر (640 – 562 ق.م) إلى بابل (46).

– وقد سمح ملوك فارس قورش عام 539 ق.م وإرتحششنا الأول عام 446 ق.م لليهود بالعودة إلى مواضعهم، وإعادة بناء أورشليم أو بيت ييوس وأسوارها في جبال السراة

(43) الربيعي، مصدر سبق ذكره، ج2، ص 159، 160.

(44) المصدر نفسه، ج1، ص 293، 294، 295، 296، 299، 306، 307.

(45) المصدر نفسه، ج1، ص 309، 310، 311، 312، 315، 318، 319، 320، 321، 322، 325.

(46) المصدر نفسه، ج1، ص 319، وج2، ص 13، 33، 35، 78، 79، 80، 81، 84، 85.

اليمنية من جديد (47). كما قاموا بإعادة تشييد هيكلهم أو بيت عبادتهم منوهاً بأن العرب الأوائل في اليمن، أطلقوا على كل بناء عظيم شامخ اسم الهيكل (48).

— عرف اليمنيون مواضع عدة تدعى أورشليم، أورسليم (أورسالم - ير - سلم - يروسلم) لارتباطها بالإله سلام والمعبودة الكبرى سلمى، وبأسماء مواضع أخرى مثل (قُدش - قَدَس) وبيت بوس، وتركز وجودها جميعاً في منطقة بلاد السراة الممتدة من الحجاز شمالاً إلى اليمن جنوباً، وقد أطنب الهمداني والشعراء العرب في ترداد هذه الأسماء كثيراً (49).

— ويعود عمر أورشليم في فلسطين إلى 200 ق. م تقريباً، وترتبط ولادتها باستقرار قبائل عربية يهودية هاجرت من اليمن إلى بلاد الشام، وحملت أسماء مناطقها معها كما تفعل أية جماعة مهاجرة في التاريخ، بناء على ذلك فإن الجغرافية التوراتية التي تتحدث عن أورشليم هي مختصة بالمجال اليمني فقط، ولا علاقة لفلسطين بها من قريب أو بعيد (50).

— الفلسط جماعة عربية يمنية بائدة كانت تعبد إلهاً وثنياً يدعى (فلس) إله قبيلة طيء البدوية الشهيرة (51) أقامت في وادي كرث وأطلق على موضعها اسم (الفرش - فرشت)، وقد حولت القراءة الاستشرافية الغربية أسماء (الفلشت - الفلسط) إلى الفلسطينيين، و(كرتيم - كرت) إلى كريت، وبذلك اعتبر الشعب الفلسطيني أحد شعوب بلاد الإغريق الذي تسلل خلسة إلى أرض كنعان. وهدف التزوير واضح وخطير وهو الترويج لأصل وجذر غريب أو طارئ للفلسطينيين الذين استولوا تحت جناح الظلام على الوطن التاريخي الرباني لليهود (52).

(47) الربيعي، مصدر سبق ذكره، ج2، ص 33، 50.

(48) المصدر نفسه، ج2، ص 384، 385.

(49) المصدر نفسه، ج1، ص 199، 327، 328، 329، 330.

(50) المصدر نفسه، ج1، ص 258، 259، 260، 264، 265، 312.

(51) المصدر نفسه، ج2، ص 427.

(52) المصدر نفسه، ج1، ص 357، 358، 359، 360.

هذه المعالجات أو الدراسات:

– تخفي خلفها عجزاً إسلامياً وعربياً واضحاً، يحول دون صياغة نظرية موازية عن تاريخ فلسطين القديم تعتمد على قراءة وتحليل وتفسير النصوص والمعتقدات الدينية والتاريخية والجغرافية والأثرية على حد سواء.

– "دراسة التوراة كسجل تاريخي يجلي الغموض عن مجمل واقع وتاريخ الشرق الأدنى القديم (وخاصة مصر والشام والعراق وشبة الجزيرة العربية)، والذي بحث حتى الآن على أساس مفهوم جغرافي مغلوطة، قامت به مجموعات من الباحثين الغربيين الذين صعب عليهم معرفة كنه أسرار اللغات السامية أصلاً".

– يجب أن تحظى دراسات التاريخ والجغرافية والآثار واللغات بدعم كبير وحرية لا حدود لها ويتوجب ألا تحشر نتائجها العلمية البحتة في إطار المدارس المعادية للنص الديني، فكل منهما مسار وأساسيات وأهداف ونظريات ومؤمنين.

– تشكل السردية التوراتية لب الصراع السياسي حول فلسطين ويجب إيلاء دراستها الأهمية القصوى، فلإسرائيليين روايتهم المتجذرة في الوعي الأوروبي والعربي والعالمي وما زالت رواية الفلسطينيين ومن خلفهم العرب والمسلمين تقف مكانها منذ قرون خلت.

– أن الألوان للتفرغ لدراسة الإسرائيليات التي تسللت إلى وعينا الديني والتاريخي والمعرفي، من أجل تقديم حقائق علمية وإيمانية ومعرفة صافية مهما بلغ موج النتائج.

مراجع البحث

- أحمد داود، العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود، دار المستقبل (دمشق – سوريا) ط1، 1991.
- أحمد دبش، موسى وفرعون في جزيرة العرب، دار خطوات (دمشق – سوريا) ط2، 2004.
- أحمد عيد، جغرافية التوراة في جزيرة العرب، مركز المحروسة للبحوث والتدريب والنشر (القاهرة – مصر) ط1، 1996.
- زياد منى، جغرافية التوراة: مصر وبنو إسرائيل في عسير، رياض الريس للكتب والنشر (لندن – بريطانيا) ط1، 1994.
- صافي التميمي، هجرة القبال العربية من جنوب الجزيرة العربية (اليمن) وأماكن استيطانها، مجلة آداب المستنصرية (بغداد – العراق)، العدد 16، سنة 2016.
- صقر أبو فخر، التوراة العربية وأورشليم اليمينية، مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد 7، العدد 27 صيف 1996، ص 235.

- صقر أبو فخر، الهرطوقي الحكيم (حوار مع كمال الصليبي)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت – لبنان) ط1، 2012
- علاء اللامي، نقد الجغرافية التوراتية والعسيرية واليمنية، مجلة الآداب (بيروت – لبنان) العدد 7، آيار – تموز، 2021.
- فاضل الربيعي، فلسطين المتخيلة: أرض التوراة في اليمن القديم (مجلدان) دار الرافدين (بغداد – العراق) ط1، 2021.
- فراس السواح، القصص القرآني ومتوازياته التوراتية، دار ومؤسسة رسلان (دمشق – سوريا)، ط1، 2017، ص8.
- فرج الله صالح ذيب، التوراة العربية، وأورشليم اليمنية، نوفل للطباعة والنشر (بيروت – لبنان) ط1، 1994.
- فضل الجثام، الحضور اليماني في تاريخ الشرق الأدنى، منشورات علاء الدين (دمشق – سوريا) ط1، 1999.
- فكري آل هير، جغرافية التوراة وحاخاماتها العرب (ب.ن)، (صنعاء – اليمن) 2018.
- كمال الصليبي، التوراة جاءت من جزيرة العرب، ترجمة عفيف الرزاز، مؤسسة الأبحاث العربية (بيروت – لبنان)، ط3، 1985.